

طبُ العيون في بلاد الرافدين: مادةٌ تعريفيةٌ بالمرجع الأساس (BAM 10) ومراجعته الألمانية، ومعنى IGI

تأتي هذه المادة بوصفها «ورقة مرجعية» مستقلة (خارج ترقيم مقالات السلسلة) تُعرّف بالقطعة العلمية الأهم التي نعتمد عليها في قراءة طبِ العيون الرافديني: كتاب Markham J. Geller & Strahil V. Panayotov الموسوم Mesopotamian Eye Disease Texts: The Nineveh Treatise (المجلد العاشر من سلسلة BAM)، مع الإشارة إلى المراجعة الألمانية التي تناولته في مجلة Orientalistische Literaturzeitung سنة 2023. وتنبع أهمية هذه الورقة من كونها تُقدِّم للقارئ العربي: ماهية الكتاب، وموضعه ضمن تقاليد تدوين الطب في بلاد الرافدين، ومعنى IGI، وما الذي يجعل هذه النصوص مفصلة في تاريخ الطب.

BAM اختصارٌ لـ *Die babylonisch-assyrische Medizin in Texten und Untersuchungen*، وهي سلسلة متخصصة في نشر نصوص الطب البابلي-الآشوري وتحقيقتها.

1) المرجع الأساس: ما الكتاب؟ ولماذا يُعدُّ مهمًا؟

الكتاب الذي نعتمده هنا هو:

Geller, Markham J. & Panayotov, Strahil V. “*Mesopotamian Eye Disease Texts. The Nineveh Treatise*”. Berlin/Boston: De Gruyter. Die babylonisch-assyrische Medizin in Texten und.

Berlin/Boston: **De Gruyter**, 2020, Untersuchungen (BAM)10 في سلسلة:

ويقع في 404 + XII صفحة ويضم 49 لوحة.

والأهم عملياً للباحث والقارئ أنّ هذا الكتاب مفتوح الوصول (Open Access)

ومُرخص وفق Creative Commons Attribution–NonCommercial–

4.0 (CC BY-NC-ND 4.0) NoDerivatives.

وتكمن قيمته العلمية في أنّه يقدِّم أول تحقيقٍ كاملٍ (Edition) لسلسلة طبِ العيون الأشهر في مكتبة آشوربانيبال ببنينوى، وهي سلسلة IGI، وهي نصوص ترجع إلى القرن السابع قبل الميلاد.

كما تُشَدِّد المراجعة الألمانية على أنّ هذه النصوص ليست (نسخًا متأخرة) كما في كثير من التراث الكلاسيكي، بل هي في الغالب مخطوطات أصلية، وهذه نقطة منهجية تُضاعف من قيمتها في كتابة تاريخ الطب.

مصدر الصورة:

Geller & Panayotov (2020) · *Mesopotamian Eye Disease Texts: The Nineveh Treatise* (BAM 10). © De Gruyter 2020 — CC BY-NC-ND 4.0

2) المراجعة الألمانية: من كتبها؟ وماذا تقول باختصار؟

تناول الكتاب عرضٌ نقديّ (Review) في مجلة Orientalistische Literaturzeitung ضمن باب (أبحاث المسمايات)، كتبه Marvin Schreiber سنة 2023، وقد أورد بيانات الكتاب كاملة، وصرّح بأهمية صدوره بوصفه تنمّةً لنشر النصوص الطبية المسماية ضمن سلسلة BAM.



ومن أهم ما تبرزه المراجعة:

- أن BAM 10 مُكرّس لأمراض العيون، وبشكلٍ خاص لسلسلة IGI (المعروفة اصطلاحاً بـ Nineveh Treatise)، وأنّ هذا الكتاب يُقدّم أول تحقيقٍ كامل لهذه السلسلة.
- أن الكتاب يضع نصوص طبّ العيون في سياقٍ واسع يستحضر تقاليد أقدم (الألفين الثالث والثاني ق.م) ثم يركّز على مادة الألف الأول، مع الإشارة إلى الحاجة لمزيد من العمل على النصوص البابلية المتأخرة.
- أن الكتاب يُبرز الصلة بين "الوصفة" و"التعويذة" بوصفها جزءاً من تفسير العلة، لا مجرد سحر منفصل.

(3) ما معنى IGI؟ ولماذا تُسمّى "رسالة نينوى"؟

IGI في هذا السياق هو اسم سلسلة علاجية متخصصة في أمراض العيون. وتُشير الدراسات إلى أن IGI تُقرأ بالأكدية īnu ومعناها «العين».

وقد اشتهرت السلسلة في الأبحاث الحديثة باسم:

The Nineveh Treatise on Eye Disease

لأن نصوصها الأساسية محفوظة في ألواح مكتبة آشوربانيبال في نينوى (القرن 7 ق.م).

ويُضيف الكتاب نفسه بُعداً مؤسسياً مهماً: إذ يذكر أن "رسالة IGI" هي فصل ضمن موسوعةٍ طبّية نينوية (Nineveh Medical Encyclopaedia) أُعدت للمكتبة الملكية، بما يعني أننا أمام مشروع «جمع وتنقيح ومعيّرة» للمعرفة الطبية داخل مؤسسة دولة ومعرفة.

(4) ماذا أضاف هذا الكتاب مقارنةً بالأعمال السابقة؟

تُفيد المراجعة الألمانية (وتؤيدها مقدّمات الكتاب) بأنّ مادة نينوى العينية مرّت في القرن العشرين والواحد والعشرين بثلاث محطّات كبرى قبل هذا الإصدار:

- فرانتس كوخر Köcher نشر مادة نينوى طبيّاً ضمن سلسلة BAM، لكن في بعض المواضع على هيئة نُسخ/رسوم نصيّة دون أن يُقدّم تحقيقاً وترجمةً كاملة على النحو الذي ينجزه هذا المجلد.
- آني آتيا Annie Attia قدّمت ترجمةً فرنسيّةً وتعليقاتٍ على الألواح الثلاثة الأولى من سلسلة IGI في Le Journal des Médecines Cunéiformes (عدد 25) في دراسةٍ واسعة (1-120).
- جينيت فينكه Jeannette Fincke قدّمت عملاً مهماً في المصطلح والتاريخ النصّي لأمراض العيون، لكن دون نشرٍ كامل للنصوص.

ثم يأتي كتاب Geller & Panayotov (2020) ليقدّم التحقيق الكامل مع الترجمة والتعليق، مستفيداً من تراكم تلك الأعمال، ومن مشروع بحثيّ طويل ارتبط ببرنامج BabMed الأوروبي الذي اشتغل على طبّ بلاد الرافدين في إطارٍ تعاوني.

(5) ماذا نجد داخل الكتاب؟ (بنية المجلّد باختصار)

بحسب المراجعة الألمانية، وبحسب فهرس المجلّد، يتكوّن الكتاب من:

1. مقدّمة/نظرة عامة (Panayotov) عن نصوص طبّ العيون المسمّارة وتاريخها الممتدّ عبر ألفيّة أو أكثر.
2. مدخلٌ تحليليّ (Geller) حول أمراض العيون في بلاد الرافدين: التشخيص، المقارنات، "المادّة الطبيّة" (Materia Medica)، والتعاونيد بوصفها تفسيراً للعلّة.
3. الجزء الرئيس: تحقيق ألواح IGI 1-3 وما يتصل بها من نصوصٍ عينية (مع transcription و transliteration والترجمة).



4. فصولٌ إضافية تُدرج نصوصًا ذات صلة من سلسلة UGU (الرأس) ومن "الكتاب التشخيصي" Sakikkû فيما يخصّ العين.
5. تعليقاتٌ موسّعة، ثم معجم، ثم قائمة لوغوغرامات وعلامات مسمارية، ثم ألواح مصوّرة (49 لوحة) تُعين على قراءة الألواح ومقارنتها.

هذا البناء يجعل المجلّد صالحًا لغايتين معًا:

غاية (نصيّة) للمتخصّص في المسماريّات، وغاية (تاريخيّة/طبيّة) لمن يريد أن يقرأ المعنى العلمي لنصوص العلاج.

6) كيف تبدو «العيادة» في نصوص IGI؟ بين الوصف والوصفة والتفسير

تُظهر شواهد IGI أنّ النصّ الطبيّ كان يُبنى غالبًا على تتابعٍ يجمع بين:

- تشخيص يبدأ بصيغة شرطية/افتتاحية (Incipit) من نمط: "إذا كان الرجل..."
- ثم وصفة/وصفات دوائية وتعليمات تطبيق (مراهم، كمّادات، مواد نباتيّة ومعدنيّة...).
- ثم تعويذة/نصّ قوليّ يشرح العلّة أو يُوطّرها.
- ثم صيغة تطبيق (DÙ.DÙ.BI) تصف (كيفية الاستعمال).

وقد نقل ملخصنا العربيّ مثلاً مشهوراً لصيغة التشخيص المتكرّرة في IGI 1:

"إذا كانت عينا الرجل مريضة" (šumma amēlu īnāšu marṣā).

وتنبّه المراجعة الألمانية إلى أنّ الكمّ الكبير من التعاويذ المرافقة للوصفات في مادة نينوى لا يُفهم على أنّه "سِحْرٌ منفصل"، بل بوصفه جزءاً من "نظرية" في المرض وتفسيره، أي في الإتيولوجيا (Etiology).

كما توضّح المراجعة أنّ المقاطع الموسومة بـ DÙ.DÙ.BI لا تتضمن عادةً أدوات الطقوس السحرية المعروفة (مباخر/قرايين/تماثيل...) بقدر ما تتضمن تعليماتٍ علاجية ملموسة، حتى إنّها تُقترح ترجمتها في هذا السياق إلى «تطبيقه الطبي».

هذه النقطة بالذات مفيدة للقارئ العربيّ: فهي تُعيد ترتيب السؤال القديم «هل هو طبّ أم سحر؟» إلى سؤالٍ أدقّ: كيف يلتقي الدواء بتفسير العلّة داخل ثقافة قديمة كان فيها الدينيّ والمعرفيّ متداخلين؟

المراجع:

1. Markham J. Geller & Strahil V. Panayotov, Mesopotamian Eye Disease Texts: The Nineveh Treatise (BAM 10), De Gruyter, 2020 (Open Access, CC BY-NC-ND 4.0).
2. **Schreiber, Marvin.** Review of Geller & Panayotov (2020). *Orientalistische Literaturzeitung* **118**, no. 6 (2023): 378–391. DOI: 10.1515/olzg-2023-0121
3. **Attia, Annie.** "Traduction et commentaires des trois premières tablettes de la série IGI." *Le Journal des Médecines Cunéiformes* **25** (2015): 1–120.
4. J. C. Fincke, Augenleiden nach keilschriftlichen Quellen. Untersuchungen zur altorientalischen Medizin. Würzburger medizinhistorische Forschungen 70. Würzburg: Königshausen und Neumann, 2000.
5. F. Köcher, Keilschrifttexte aus Niniveh 2 (BAM 6). Berlin/New York: Walter de Gruyter, 1980.